

مفاهيم القرآن

(17) فتذهب المدرسة الأولى إلى أن الشمس والنار والسيف غير مؤثرة إطلاقاً ، وغير دخيلة مطلقاً في وجود النور والحرارة والقطع ، بل إن عادة الله هي التي جرت على أن يوجد الله النور بعد طلوع الشمس ، والحرارة عند حضور النار ، والقطع عند حضور السيف ، وإن لم تكن لهذه الأشياء [أي الشمس والنار والسيف] أيّة مشاركة في إيجاد هذه الآثار ووقوعها . ولا شك أن هذه النظرية مرفوضة في نظر العقل ومنطق القرآن(1) . فبينما تنفي مدرسة الأشاعرة دور العلل ومشاركتها رأساً ، تذهب المدرسة الثانية (القائلة بالتوحيد الافعالي) إلى الاعتراف بأنّه لا مؤثر حقيقي في الوجود إلا "الله" (2) ولكن مع الاعتراف – إلى جانب ذلك – بدخالة "العلل" في إيجاد "الآثار" ، مستمدة هذه القدرة على التأثير من ذلك المؤثر الحقيقي الواحد ، ونعني "الله" سبحانه وتعالى . ولهذا يغدو أي اعتقاد بالثنوية أو التثليث مرفوضاً في منطق هذه المدرسة . وبهذا يتبيّن أن القائلين بأن الإنسان محتاج إلى الله في أصل وجوده ، ولكنه مستغن عنه تعالى في أفعاله ومستقل في تأثيره ، قد سقطوا في الشرك من حيث لا يعلمون ، ذلك لأنهم يمثل هذا الاعتقاد يكونون قد اعترفوا – في الحقيقة – بمؤثرين أصليين مستقلين غنيين وخرجوا بذلك عن إطار "التوحيد الافعالي" !! _____ 1 . فالقرآن يصرح بتأثير العلل الطبيعية في معاليلها حيث يقول: (يُنَبِّتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ) (النحل:11) فإن قوله (به) صريح في تأثير الماء في إنبات هذه الثمار ، وسيوافيك تفصيل القول في ذلك عند البحث في التوحيد الربوبي . 2 . الاعتراف بوحداية المؤثر في صفحة الوجود لا ينافي القول بتأثير العلل الطبيعية في معاليلها .